ولما وصل الى هذه الالفاظ الاخيرة التفت الى حاشيته وبدأ يخاطبهم بصوت خافت وانا انظر اليه حائراً باثراً. ثم نهض من مكانه فقام له الجند بالسلام كما فعلوا حينما قدم ورجع الى البلد بتعظيم وتبجيل واردت الدخول معه لكن حال بيني وبينه جماعات الناس وبينما كنت احاول الانسلال بينهم شعرت كأن واحداً دفعني فصحوت من نشوة الكرى وقد انطبعت في مخيلتي الرؤيا التي رأيتها في عالم الخيال فوجدته مطابقاً لعالم المثال فقر ورقت عيناي بالدموع وقلت: رحماك يارب رحماك! اسألك بان تلطف بعبادك وتقيم لهم رجالاً ذوي حزم وعزم ينظرون في الامور على ماهي ويتبصرون في العواقب لكي يعود الى الناطائر العمران، فيخفق بجناحيه على جميع هؤلاء السكان، فانت الرحيم وانت الرحمان. ٢٠ — ٨٠٤٠

الذرعة

L'impôt étrange de l'Irâq , nommé Dhar'ah.

١ تمهيد

بمناسبة ماحصل في العام الماضي من توالي شكايات الزراع وفي هذه السنة من تشكي الحكومة من الذرعة — واغلب الناس في الولاية فضلا عن الموجودين خارجاً عنها، بل حتى موظفي (مأموري) الذرعة انفسهم يجهلون اصولها (ومعاملاتها)، ولا لوم عليهم ولا تثريب لانها خاصة بالعراق، بل ببعض انحائه فقط، وذلك على قاعدة ان احكام حكومتنا العثمانية جارية في الاغلب «على التعامل» (كما يقولون، اي على العادة الجارية في ذلك المحل منذ القدم) فلا تشبه معاملة معاملة حتى في الجنس الواحد — احببت ان ابين حقيقتها ليعلمها الجميع ويطلعوا على خفاياها اطلاعاً كافياً بحسب الامكان وقصدت نشر ذلك في مجلة (لغة العرب) لما هي عليه من كثرة الانتشار ولان عموم الطبقات الراقية في كل البلاد يعيرونها الالتفات الجدير بها، ولان مثل هذه الامور لافائدة من نشرها في صحف تقرأها العوام، فلهذا رأيت ابقاءها مخلدة في هذا التاريخ، والله المستعان.

٢ تعريفها وذكر واضعها وسبب وضعها

الذرعة (وزان سيمة) نوع من الضريبة تضرب على الاراضي المزروعة ارزاً واول من اقام اصولها مخلص بك دفتردار ولاية بغداد (اي امين خزينتها) في نحو سنة ١٢٧٧ مالية اي سنة ١٨٦١ ميلادية. وكانت الحكومة قبل ذلك تضمن الاراضي

(وهم يقولون بهذا المعنى: تعطى الاراضى بالالتزام) والضامن (اى الملتزم) يقتسم المزارع مع الزراع وتأخذ ريعها (اى عوائدها)؛ فرأى المومااليه ان لزراع يسرقون القسم الكبير من محصولات التمر [اى ريع الارز] وعند المقاسمة لا يبقى للضامن [او الملتزم] الا الشيء الطفيف او يظلمهم فيأخذ منهم اكثر من حقه، وهو محق فى مايظنه.

والسبب فى سرقة الزراع هو جور العمال وطمع الضامنين معاً. اما طمع الضامنين فلانهم كانوا يريدون الحصول على اضعاف ماسلموه الى الحكومة. تضلعا كانوا يؤدونه يومئذ للموظفين من كبير الى صغير. واما جور العمال فلانه لم يكن للحكومة العثمانية مكافأة للمحسن ولا مجازاة للسارق الخائن كما كان دأبها. فكم سمعنا بمن اخذتهم للمحاكمة ويكاد يتصور السامع ان المأخوذ يشنق عن قريب لان جرمه عظيم، فلا تمر بضعة ايام حتى يسمع ببراءته رفقاً به او بيته. اللهم الا اذا كان الموظف [المأمور] صغيراً وسرقته حقيرة فحينئذ يعاقب، على حد قول الشاعر التركى:

مليونله جالان مسند عزتله سرا قزانان بوقاچ غروشك مرتكبى جاى كركدر

معناه: ان سارق الملايين قائم على منصة العزة اللائقة بجلاله، والمختلس لبضعة غروش مستحق للسجن.

٣ كيفية الذرعة

يخرج بضعة موظفين [مأمورين] برأسهم ناظر وتحت ايديهم ذارعون ومحافظون [واغلبهم لا يميزبين الزرع الذى يراه ان كان ارزاً او حنطة او شعيراً] فيذرعون الارض المزروعة بحبل طوله ٥٠ ذراعاً بذراع اليد الذى هو عبارة عن نصف متر فيكون طول الحبل نحو ٢٥ متراً. والارض التى طولها حبلان فى مثلهما عرضاً [اى ٥٠ متراً] يسمونها [مشارة][١] والكون زرع الارز يحتاج الى كثرة المياه، يضطر الزراع لزرعه على حافات الجداول؛ والكثرة الفلاحين تضيق عليهم الحافات فلذا يجعلون لكل فلاح على النهر قسحة يتراوح قدرها بين ٨ اذرع و ٢٠ ذراعا بذراع اليد اى مابين ٤ و ١٠ أمتار. فهذا عرض الزرع. واما طوله وهو مايسمونه

[١] المشارة فى كتب اللغة: الدعرة التى فى المزرعه اى البقعة التى تزرع. وقدرها فى السابق جريب. اما اليوم فانها تبلغ نحو (دونم جديد) اى تبلغ ارضا مساحتها ١٠٥٠٠ متر مربع. وتجمع المشارة على مشاور ومشائر. (ل-ع)

بافتهم [النزال] [١] فيمتد الى ١٠٠ او ٢٠٠ حبل والحبل كما ذكرناه نحو ٢٥ متراً فتتصل مزارع البعض بمزارع البعض الآخر تقريباً لان كل طائفة من الفلاحين مربوطة بشيخ وهو الذى يسمونه [سركال] [٢].

فاذا اتى الذارعون اخذوا اولاً بذرع [النزال] اى طول الزرع فلا يعارضهم احد. لكن الطامة الكبرى فى العرض اذ هناك تقوم قيامة الزراع مع الذارعين لانهم اذا ارخوا الحبل او شدوه او بلوه بالماء حدث فرق كبير، اذ على الذراع الواحد يبنى حساب طول المزرعة التى هى ١٠ آلاف ذراع او اكثر او اقل. فان كان العرض ٨ اذرع وحصل النزاع على واحد فهو الثمن بالنسبة الى الزرع كله كما لا يخفى والفائز من ارضى الذارع فاغضى له عن ذراع او نصفه! والويل لمن لم يرضه بل ان اغضبه والعياذ بالله! على ان امره اهون مما يليه من الاعمال لان هذا العمل هو (اول عقبة) فى هذا الصدد.

(العقبة الثانية) التخمين وهو الخرص، فالخراص وهو المعروف عندهم (بالعمدة) ينظر الزرع بنظره الثاقب فيقول: ان هذه الارض التى ذرعت فكانت ١٠ مشاور مثلاً: ٣ منها وصف زرعها على (اى فاخر) و٢ اوسط و٢ ادنى. و١ عديم (اى كالعدم بمعنى ليس فيه حاصل) و٢ عائد (٣) والقول قوله، فان رضى عن الفلاح قلل الاعلى وزاد فى العديم او العائد والعكس بالعكس. والرضا لم يكن الا عن طمع فى نفس الخراص بعد ان يكون قد تواطأ مع الفلاح على مغنم يجره منه كما هو مألوف العادة يومئذ.

وهنا يحسن بنا ان نعرف القارئ بامر الحساب: فالاعلى على حسب القاعدة يترك منه (اى يطرح منه) السدس فى الهندية، والسبع فى الشامية. والاوسط يلقى منه الخمس فلا يدخل فى الحساب فى الهندية. والسدس فى الشامية، والادنى يرمى منه الثلث فى الهندية. والربع فى الشامية. وذلك لان اراضى الشامية اقوى انباتاً واكثر ريعاً من اراضى الهندية، والعائد هو ان يخمن الخراص ما يعود

---

[١] النزال وزان شداد. وسمى كذلك اشتقاقاً من النزول اى الانحدار.

[٢] السركال تحريف السركار الفارسية ومعناها: رئيس الشغل.

«٣» العائد ما يخمن العمد مما يخص بالحكومة من ريع المزرعة تخميناً لا يعارضه فيه معارض لحساسة ذلك الزرع.

الى الحكومة من حاصلات الزروع من دون « تجبير » والتجبير عندهم هو هذا الحساب اوالتنزيل الذى ذكرناه . فنقول مثلاً : ان هذه الارض ذرعت فكانت عبارة عن ٤٠٠ مشارة فيها : ١٤٠ اعلى و ١٠٠ اوسط و ١٠٠ ادنى فالجملة ٣٤٠ وفيها ٣٠ عديماً لاحاصل فيه و ٣٠ عائداً . فيكون صافى الزرع عن ١٤٠ مشارة الموصوف زرعها « بالاعلى » ١٢٠ بعد ترك السبع . وصافى ١٠٠ الاوسط ٨٠ بعد ترك الخمس وصافى ١٠٠ الادنى ٧٥ بعد ترك الربع فجملة الصافى عن ٤٠٠ مشارة هو ٢٧٥ مشارة لاغير . وحاصل شلب (١) المشارة الواحدة هو ٨٠٠ حقة من حقق الاستانة فيكون حاصل جميع تلك المشاور ... ، ٢٢٠ حقة . منها : النصف للفلاح اسماً اى ... ، ١١٠ والنصف الآخر اى ... ، ١١٠ يعطى خمسه للسركال اى ... ، ٢٢ والباقى اى ... ، ٨٨ هو حصة الحكومة . ويلحق بها العائد وهو عن الارض الرديئة الزرع اى يوخذ عن كل مشارة نحو ٦٠ الى ١٠٠ حقة حصة (الاميرى) الميرى . هذه صفة المقاسمة التى جرى عليها التعامل ، ذكرناها استطراداً للوقوف على حقائق الامور والا لم يحن وقت ذكرها لاننا لم نزل فى العقبة الثانية .

(العقبة الثالثة) هى عقبة الكتاب والموظفين (المأمورين) فان العمدة يقول للكاتب اكتب : الاعلى ١٤٠ (فيقيدها ٢٠٠) والاوسط ١٠٠ (فيدونها ١٤٠) والادنى ١٠٠ (فيحررها ٢٠) والعديم ... والعائد ... فيقول لسان حال الكاتب : « واذنى عن الفحشاء صماء » . (٢) وكثيراً ماجرى مثل هذه المعاملة معاملة الكاتب لتقييد حاصلات الزراع فكانوا يأخذون اوراقا من العمدة تشهد بحاصل زرعهم فاذا اتوا المقابلة بما فى دفتر الكاتب يرون الخلاف فتكثر الجلبة ويعلو الصياح وتشتد المخاصمة حتى انها ربما تنتهى الى امتشاق الحسام كما جرى الامر غير مرة . اللهم الا ان يكون قد وقع التراضى مع الموظف ايضا قبل حينئذ للخزينة .

(العقبة الرابعة) امر تخمين الاسعار . ان الاسعار يقدرها القضاء فيزيدها اللواء وربما زادتها الولاية . فيجرى بهذا الخصوص مخاصمات كثيرة حتى يبلغ فيها السيل

---

(١) الشلب (بكسر فسكون) هو رز يقشره عند اهل العراق le riz(dans la balle) وبالانكليزية Paddy (٢) اى انى لاحب ان اسمعك تقول : فيه « عديم وعائد » فيها ان الكلمتان عندى بمنزلة الالفاظ البذيئة ولهذا اصم اذنى عن سماعهما .

الزبي. اما سعر الحقة على الغالب فهو ٢٠ پاره فيكون حاصل الـ ٤٠٠ مشاره التي ذكرناها فويق هذا اى حصة الاميرى منها ٤٤٠ ليره على الفلاح ان يوديها كيفما كانت الحال. وزد على ما تقدم فعل الحكومه فانها كانت تأخذ من الفلاح دراهم على الحساب قبل ادراك زرعه فتطلب مثلا من هذا الرجل الذى سيكون حاصل زرعه ماحصته الاميريه ٤٤٠ من ٢٠٠ الى ٣٠٠ ليره «على الحساب» وتضطره الى الدفع بالجنود والارهاق فيضطر الى بيع الحاصل قبل ادراكه ويبيع للتجار التيغار(١) الذى هو عباره عن ١٦٠٠ حقة بثلاث ليرات اى انه يبيع الحقة بسبع پارات ونصف الى ثمان. وهذا البيع يعرف عندهم باسم «على الاخضر»(٢) فيأخذ منهم الدراهم ويدفعها الى الحكومه. وعلى هذا الحساب تكون اثمان جميع حاصلاته ٤١٢ ليره.

وعند الحساب المار ذكره يكون عليه من الرسم الاميرى ٤٤٠ ليرة (هذا ان كان السعر كما ذكرناه وهو ما يكون فى السنين الرخية الاسعار. واما فى سنة غلاء الاسعار فالمثل يكون مثلين. وهذا كله يجرى فى انحاء الهنديه والشاميه واما فى العمارة وما جاورها فرسم الحكومه مقطوع وهو ليره عثمانيه عن كل مشارة سواء زاد السعر او نقص. ولذلك قلنا ان معامله الحكومه تجرى «على التعامل» اذ فى كل موطن نوع معامله وبعد هذا يريد منه الشيخ حصته فيضطر الى البيع على السنه القادمه فيدفع

(١) التيغار وعامه العراق تقول التغار والطغار (وزان سحاب او باسكان الاول) كان معروفاً عند العرب الاقدمين وقد عربوه بصورة تيغار. قال فى ذيل الفصيح ص ١١٢: وهو التيغار على تفعال «اى بكسر الاول» للذى تسميه العامه التغار. — قلنا: والكلمه الاصليه هى تغار الفارسيه وزان سحاب. وهم (اى الفرس) يقولون ايضاً: تغاره وتاره. وهو الطست من الفخار اى لاجانه الكبيرة والخابيه ويرادبها عندهم ايضاً: الاطمه ولاسيما التى تدخر فى تلك الخابيه. — وايضاً نوع من المكاييل يسع عشر كيلات وكل كيله عشرة امنان من امنان تبريز. ويقول بعض الفرس فيه ايضاً (تغار) بالضم «وتغار بقاف وزان سحاب. وتجمع تيغار على تياغير واهل الشام يصحفون الكلمه فيقولون الدغار بالدال ويريدون بها الخابيه الكبيرة. — فيكون كلام العراقيين فصيحاً بمعنى نوع من الاوزان ويختلف قدر التيغار بين ١٠٠٠ و ١٥٤٠ كيلغراماً (راجع لغه العرب ٢: ٩ ٢٤) والمراد بالتيغار هنا ١٦٠٠ حقه استانبيه اى نحو ١٥٤٠ كيلغراماً. [ل. ع]

(٢) وهم يقولون (على اخضر) والعرب الاقدمون كانوا يسمون هذا البيع المخاضرة قال اللغويون: خاضره مخاضرة: باعه الثمار خضراً قبل ظهور صلاحها. ومنه فى الحديث انه نهى عن المخاضرة (ل. ع)

الى الشيخ طلبه. وفي القابل (العام الذي هو بعد العام الحاضر) لا يفي زرعه لاداء ما عليه من الدين ولما يحتاج اليه من الطعام واللباس فيضطر الى مماطلة الحكومة. فتبقى البقايا في الدفاتر فترى حاصل الشامية مثلاً ٨٠ الف ليرة. فيدخل منها الصندوق من ٢٠ الى ٣٠ الفاً فقط والباقي يدون في الدفاتر باسم بقاياه وهلم جراً. فيسبب هذا الارتباك الحروب وهلاك الانفس.

هذا ما كانت عليه الحالة في العهد البائد عهد الاستبداد والتحكم ولا يظن القارئ ان في الامر مبالغة او اغراقاً، كلا والف كلا، بل فيه تهوين وتقليل. اما الان فلكوني اعتزلت المداخلات لا اعلم كيف تجري المعاملة في هذا الخصوص!!! لكن مادة الذرعة والحصة والتجبير باقية على حالها بدون ادنى خرق لانها معاملة رسمية.

وفي العام الماضي تولى نظارة الذرعة دفتردار الولاية (امين خزينتها) توفيق بك واوصل الرسوم الاميرية الى ١٢٠ الف ليرة فصاحت العشائر وناحت (لانها كانت تتراوح في السنوات الماضية بين ٣٠ و٥٠ الفاً) ولكن بدون جدوى. وبقي منها قسم دون في دفتر البقايا حسب العادات القديمة. وفي هذه السنة خرج الموظفون بنظارة متصرف الديوانية رشيد بك فكانت الظواهر تدل على ان الحصة الاميرية ستكون ما بين ٤٠ الى ٣٠ الف ليرة؛ فقامت قيامة الحكومة وعزل المتصرف وجرت المفاوضات بين الولاية والاستانة فكانت نهاية الامر ورود الجواب من نظارة المالية ان يؤخذ من الزراع الحاصل المعدل تخميساً اي بحسب حاصل خمس سنوات يؤخذ منها خمسها. فالزراع يقولون: نعم لكن بشرط عدم ادخال السنة الماضية في السنوات الخمس لانا مظلومون فيها ظلماً فاحشاً ظاهراً لكل ذي عينين فلعل الحكومة تصغي اليهم. وهي اعلم بامرها معهم.

قلنا: والسبب الذي الجأ ذوي الامر الى حساب خمس حاصل الاعوام الخمسة السابقة هو ان ارض زرع الارز بعد حصاده يغمرها اصحابها بالمياه خدمة للزرع المستقبل فلا يمكن اعادة ذرعها وان يكن قد سبق للحكومة ذرع الارض بعد حصادها وتخمين العمدة لحسن الزرع وسوئه وان كان مغموراً بالماء فهو من باب المكاشفة (١)

(١) المكاشفة عند الصوفية هو شهود السالك للاعيان وما فيها من الاحوال في عين الحق فهو التحقيق الصحيح بعظمة تجليات الاسماء الالهية. وهي غير الكشف لان الكشف هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والامور الحقيقية وجوداً وشهوداً

لكن الحكومة الدستورية لم تشأ مجاراة الحكومة السابقة في هذا العمل ايضا!

اما السراكيل او المشايخ فهم يأخذون خمس حصة الحكومة كما ذكرنا ويأخذون من حصة الفلاح نصفها او اقل قليلا من النصف ومن هذا كله تعلم درجة حالة الفلاح العراقي. انعشه الله وقاله!

احمد رفيق

اربع اسر بلا اثر «تتمة»

Quatre familles de Bagdad, aujourd'hui éteintes.

٣ ـ اسرة مركار اغا

ان مركار (١) اغا او اغا مركار بن افيد خلداريان الارمني غير الكاثوليكي والمولود في جلفا (قرب اصفهان) كان وكيلا في بغداد لشركة الهند الانكليزية التي ينبغي ان نعرف امرها للقراء ليحيطوا علما بمقام هذا الرجل وعليه نقول:

في سنة ١٥٩٩ اسس بعض التجار الانكليز في لندن شركة ذات امتياز غايتها التجارة في بلاد الهند ولم يكن راس مالها اول بدء سوى ٦٤٠٠٠٠ ليرة. لكن لم يمض على تأسيسها قليل من الزمن الا واخذت تكبر وتتسع وتنجح نجاحا لا مزيد عليه وخاصة بعدما انضم اليها ثلاث شركات اخرى انكليزية فانها اصبحت اذذاك كدولة صغيرة في تلك الاقطار تنفذ الوفود (٢) والسفراء الى ملوك وامراء الشرق وتضرب معهم العهود التجارية والسياسية وبمخر اساطولها عباب بحر الهند وخليج العجم وتفتح عساكرها المدربة على الطريقة الاوربية البلاد الواسعة وتشيد الحصون المنيعة وتعززها بما لديها من القوة حتى استتب لها اخضاع القسم الاكبر من الهند لسلطانها وكسر شوكة منازعيها من پورتوغاليين وهولنديين وفرنسيين وهكذا اصبحت او كادت تصبح انكلترة الحاكمة الوحيدة في هندستان المأهولة بمئات ملايين من النفوس

(راجع للمكاشفة كتاب جامع اصول الاولياء للشيخ احمد الكمشخانوي النقشبندي المجدد الخالدي ص. ٢٦ وطالع في معنى الكشف كتاب التعريفات في مادة كشف).

(١) ان هذا الاسم مقطوع من كلمة ماركاري الارمنية ومعناها نبي وهو عندهم احد نعوت القديس يوحنا المعمدان «يحيى» وكذلك اسم افيد مقطوع من كلمة افيديك او افيديس اي بشارة.

(٢) ومن جملتهم الوفد الذي ارسلته الشركة الى شاه العجم سنة ١٨٠٠ وعند عودته الى الهند مر ببغداد وكان نازلا فيها يومئذ صاحبنا المجموعة السابق ذكرها وقد وصف دخول هذا الوفد عاصمة العراق والاحتفاء به وصفا دقيقا ولهذا رأيت ان اورده هنا بالحرف الواحد: